آراء البُسَطاء في الارض والسماء

النمو والارتقاء ناموس شائع في الماديات والادبيات. فكما يتقلّب الجنين على اطوار شتّى ثم يولد وينمو ويرتقي رويدًا رويدًا جسمًا وعقلاً كذلك نمت معارف الناس ومداركهم وارتقت قرنًا بعد قرن حتى بلغت الدرجة التي اوصلها اليها الفلاسفة المتأخرون. ولكن هذا الارتقاء لم يعم كل طوائف الناس ولا كل افراد الطوائف التي شاع بينها لاننا نرى في ايامنا هذه شعوبًا كثيرة لم تزل على حالة الفطرة في المعارف والاخلاق وشعوبًا أخرى انحطّت عما كان عليه اسلافها وافرادًا كثيرين في وسط الشعوب المتمدنة يعتقدون اعتقاد اهل الخشونة والبداوة. ويظهر كل ذلك من النبذة التالية التي جمعنا فيها بعض آراء هؤلاء الناس في الارض والسماء والشمس والقمر قاصدين بها تنبيه بعض القراء الى جمع آراء البسطاء من اهالي بلادنا ومن عرب البادية وتدوينها في بطون الاوراق قبلما تضيع بانتشار المعارف. لان هذه الآراء على بساطتها وبعدها عن الحقيقة يستخدمها علماء الاخلاق لحل كثير من المسائل المعضلة ويعتمد عليها فلاسفة هذا الزمان في تاريخ المعارف وارتقاء العقل البشري

لا يخفى ان الناس لا يعرفون شيئًا عن الارض وهم في حالة الفطرة الاّ كما تبدو للعيان. فان كانوا في جزيرة من جزائر البحر ظنوا الدنيا كلها محصورة في جزيرتهم او في ما جاورها من الجزر كاهل جزائر كارولين الذين يزعمون ان السماء متصلة بالارض من جهة الشمال وليس بينهما الاّ فسحة ضيقة يكاد الانسان لا يجتاز فيها زحفًا. وان كانوا في سهل فسيح حسبوا الارض كلها سهلاً واسعًا لا نهاية له. ولكنهم اذا ضربوا في البلاد ورأوا ما فيها من الجبال والوهاد والسهول والنجاد انتقلوا من المرئيّ الى الموهوم فتوهموا للارض صورًا مختلفة مثل انها محاطة ببحر لا نهاية له وهو معتقد اكثر الاقدمين وكثيرين من سكان الجزائر في هذه الايام. او ان السماء والارض وما تحت الارض سفينة كبيرة فيها ثلاث طبقات والارض الطبقة الوسطى والسماء سقفها وهو معتقد اهالي كمشتكا. او ان الارض مربعة الزوايا وهو مذهب بعض الهنود وبعض اهالي اسام

وقد اختلفوا في كيفية ثبوت الارض وفي اسباب تزلزلها فقال بعضهم انها كالبيضة الطافية في الماء او كالجمل في الرمال وهو مذهب الكثيرين في جنوبي اسيا وفي جزائر بولينيزيا وملقّا. وقال آخرون ان الهًا من آلهتهم يحمل الارض على ظهره فاذا تحرّك او نام مادت وزلزلت زلزالها وهو مذهب اهالي جزائر طنغة وهم يضجّون ويرفسون الارض بارجلهم عند حدوث الزلزلة ايقاظًا لهذا الاله. ويزعم الكهنة في جزائر هواي ان الارض جرم كبير وضعه اله الزلازل على النار المركزية

واقام السماء عليه على اربعة اعمدة . ويزعم اهالي برلينيزيا ان الاله موي والاله روا حملا السماء على ركبهما ثم رفعاها على ظهريهما ثم على ايديهما . وعندهم اقوال أُخرى في كيفية رفع السماء عن الارض يضحك منها الصغار . ويزعم اهالي سليبس (وهي جزيرة كبيرة شرقي بورنيو) ان الاله ايبر يحمل الارض فاذا احتكّ بشجرة اهتزّت الارض على ظهره فحدثت فيها الزلازل . ويقول لامات المغول ان الزلازل تحدث من اهتزاز الضفدع الحاملة للارض . ويزعم البعض من اهالي جزائر يوما ان ماردًا خبيثًا نائم في جبل اقيكوم فاذا تحرك قليلاً زلزلت الارض زلزالاً خفيفًا واذا قلب من جانب الى جانب زلزلت زلزالاً شديدًا . وكان اهالي جزائر كريب يزعمون ان الارض ترقص بعض الاحيان فتتزلزل . ويقول بعض الهنود ان الارض جزيرة قائمة على ظهر سلحفاة كبيرة والسلحفاة قائمة في البحر فاذا اهتزت او مشت تزلزلت الارض واذا غاصت في البحر طمت مياهه عليها . ويقول غيرهم من الهنود ان الارض محمولة على ظهر فيل والفيل قائم على ظهر سلحفات فاذا تحرك

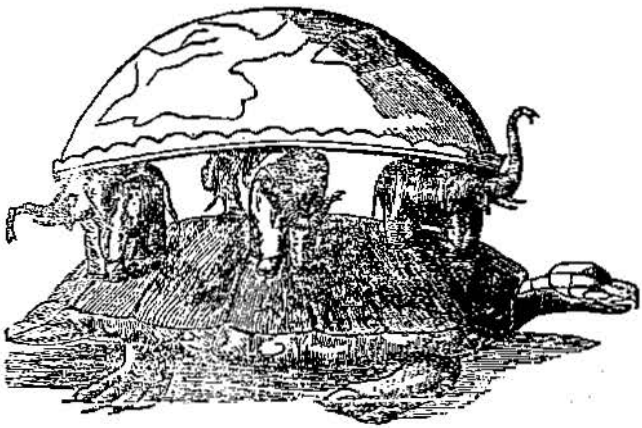

هو او هي تزلزلت الارض . ويقول بعض اهالي اسام ان تحت الارض اربعة افيال ممسكة بزواياها الاربع كما ترى في هذه الصورة فاذا تعب احدها وتحرك اهتزّت زاويته وتزلزل ما حولها من البلاد . ويقول اهالي كمشتكا ان اله الزلازل عنده كلاب تجرُّ مركبته تحت الارض فاذا وقع عليها الذباب انتفضت زجرًا له فاهتزت الارض بانتفاضها . ويزعم اكثر اهالي سيبيريا ان في جوف الارض حيوانات ضخمة بناه على ما يرونه في بلادهم من عظام الموث فاذا انتفضت زلزلت الارض

ويقول بعض الهنود ان ارضنا دائرة كبيرة يخترقها ست سلاسل من الجبال من الشمال الى الجنوب وسلسلتان من الشرق الى الغرب كما ترى في الصورة التالية فوق الرقم (١) وفي مركزها جبل من

الذهب والجواهر يسكنه آلهتهم علوّ ثماني مئة واربعون الف ميل ومحيط قاعدته ثمانون الف ميل ومحيط رأسه مئة وستون الف ميل . فهو عكس الجبال المادية اي انه يتعاظم بالارتفاع وقد رُسم شكله فوق رقم (٣) . ويقولون ان عند سفحه اربعة جبال أُخرى تسنده وعند كلٍّ منها شجرة هائلة علوها ثمانية آلاف وثماني مئة ميل . ويخرج من هذه الجبال اربعة انهر تخترق الارض وتصب في البحر المحيط بها وهي الخطوط الاربعة المنهوجة في الصورة . وهذا البحر ملح ويحيط به ست مناطق يابسة وستة بحر كما ترى في الصورة التي فوق الرقم (٣) فالدائرة الوسطى البيضاء هي الارض المرسومة مكبَّرة فوق الرقم (١) ويحيط بها بحر من ماء ملح ثم منطقة يابسة وبحر من عصير قصب السكر . ثم منطقة يابسة وبحر من الخمر . ثم منطقة يابسة وبحر من السمن . ثم منطقة يابسة وبحر من اللبن الحلو . ثم منطقة يابسة وبحر من اللبن الرائب . ثم منطقة يابسة وبحر من الماء العذب . والمناطق هي الدوائر البيضاء والبحور الدوائر السوداء .

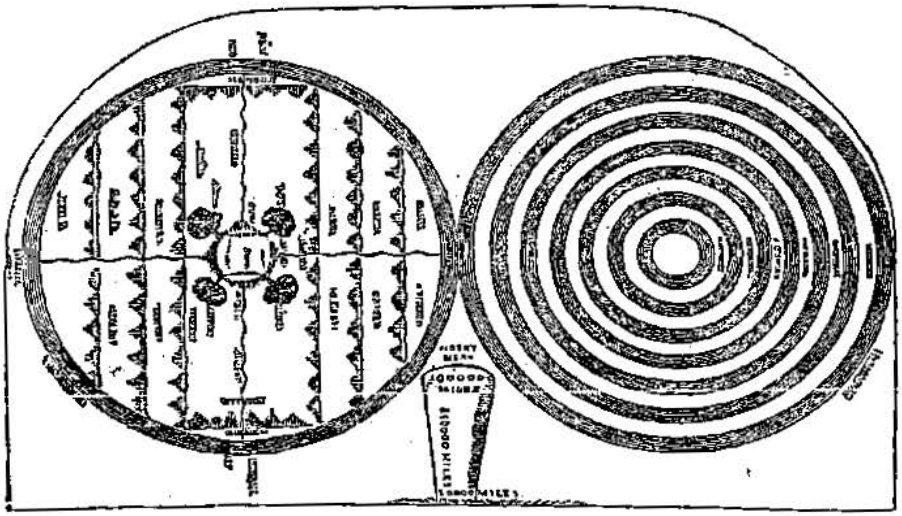

(١) (٢) (٣)

هذا من قبيل اوهام الناس في الارض واتصال السماء بها وحدوث الزلازل فيها وهي ليست شيئًا بالنسبة الى اوهامهم في الاجرام السموية . فالمونتوت يقولون ان الشمس قطعة كبيرة من لحم الخنزير يجذبها الملاحون كل مساء ويأكلون بعضها ثم يردونها الى السماء . ويقول بعض اهالي يابان ان ثماني مئة الف اله ربطوا الشمس بحبل واخرجوها من كهفها بحيلة وهي تحاول العود اليه وهم لا يدعونها . ويقول اهالي جزائر الشركة ان الشمس تغطس في البحر كل مساء وتنطفئ ولا تطفئها

ازيز كانطفاء النار يسمعهُ القريبون منها . وهذا الوهم شائع عند اكثر الشعوب الذين يتوهمون من الغرب بحر اما الذين يتوهمهم جبل كبعض اهالي برما وهنود اميركا فيقولون انها تنزل في كهف او شق صخر

وهناك آراء كثيرة في حقيقة الشمس فيقول البعض انها عذراء يبتلعها التنين كل مساء ويقذفها من فيهِ في الصباح . ويقول الاسكويمو انها اخت القمر وانهُ اكبر منها سنًّا . واهل بيرو ان القمر اخت الشمس وامرأتهُ مثل اوسيرس وايسس عند المصريين . واهالي لوانيا ان الشمس زوجة القمر والزهرة بنتهما . والمنترا سكان ملقا ان الشمس والقمر امرأتان . وغيرهم ان القمر صهر الشمس

اما الوهم الشائع في بلادنا وهو ان للقمر علاقة باحوال البشر والنبات والحيوان فشائع عند اكثر الامم والقبائل حتى ان بعض النساء في اوربا لا يغيّرنَ مساكنهنَّ ولا يقصصنَ شعورهنَّ ويتزوجنَ ولا يعدنَ اولادهنَّ في نقصة القمر واهالي المكسيك وبيرو القدماء يعتقدون ان الشمس فردوس الابطال . والاسكويمو واهالي لابلندا يعتقدون ان القمر فردوس الاخيار وان الاشرار يهبطون في هاوية في جوف الارض

اما تغيرات وجه القمر وانخسافهُ وانكساف الشمس ففيها مذاهب كثيرة مضحكة . فالهوتنتوت يقولون ان القمر مصاب بصداع مزمن فاذا اشتدَّ عليهِ وضع يدهُ على وجههِ وغطّاهُ وهو الخاق ثم يزيح يدهُ رويدًا رويدًا الى ان يجلي كل وجههِ ويصير بدرًا . ويقول بعض اهالي كريتلندا ان القمر مولع بمحبة اختهِ الشمس فيتبعها الى ان يخلَ جسمهُ وتزول نضارة وجههِ فيتركها ويذهب في طلب الصيد فيأكل ويسمن ويشرق وجههُ ثانيةً ثم يعاود اتباع اختهِ الى ان يخل ثانيةً وهلمَّ جرًّا . ويزعم هنود داكوتا ان الفيران تهاجم القمر كل شهر وتأكلهُ . وبعض الصقالبة القدماء ان القمر زوج الشمس ولكنهُ عشق الزهرة فغارت الشمس منهُ وشقتهُ شطرين . ويقول بعض الهنود ان القمر صهر الشمس ولكنهُ عشقها فيشتعل فؤادهُ حبًّا كل بدرٍ وهي تذرُّ الرماد عليهِ قصاصًا لهُ فتُرَى فيهِ تلك البقعُ السود . وغيرهم ان فيهِ ارنبة برّية او رجلًا او الهًا او شيطانًا او امرأةً عجوزًا او رجلًا وامرأةً يزرعان الارز ويحصدانهِ الى غير ذلك مما يطول شرحهُ

وقال بعض اهالي كندا القدماء ان القمر والشمس زوج وزوجة ولهما ولد فاذا حملهُ القمر لتقبّلهُ انخسف واذا حملتهُ الشمس لتقبّلهُ انكسفت . وقال بعض اهالي ملقا ان الشمس تأكل اولادها والقمر يخفيهم بعد ان تعاهدتا على اكلهم ولذلك لا يجسر القمر على اظهار اولادهِ (النجوم) الا عندما تختفي الشمس . وبعض الاحيان تدنو الشمس من القمر وتضربهُ على وجههِ ضربة مؤلمة فينخسف وهذا سبب الخسوف . ويقول بعض اهالي اميركا الجنوبية ان كلبًا يتبع القمر ويعذبهُ فيسيل دمهُ على

وجهه ويخسفه وهم يرشقونه بالنبال عندما يخسف لكي يزجروا الكلب عنه . وما اشبه ذلك بقصة الضنين التي لم تزل شائعة في اطراف بلادنا . وقد بقيت اقوال كثيرة في الارض والسماء والشمس والقمر بعيدة عن الحقيقة بُعد هذه اضربنا عنها حبًّا بالاختصار

آلة الخياطة ونصيب مخترعها

يمتاز هذا العصر على كل العصور الخالية بكثرة الآلات والادوات التي كفت الناس مؤونة العمل بايديهم . فلا تمرُّ في مدينة من المدن الصناعيَّة حتى ترى بيوتًا كبيرة مملوءة بالآلات الكثيرة الاجزاء والتفاصيل وهي تتحرَّك بقوة البخار او غيره من القوى الطبيعية وتعمل اعمالاً يعجز عنها امهر الصناع واذقهم نظرًا وتسرع في عملها سرعة تدهش الابصار . فهنا دار الطباعة والمطبعة من مطابعها تطبع الوفًا من الصفائح في الساعة الواحدة وهناك بيت الحياكة والنول من انوالها ينسج الوفًا من الاذرع في اليوم الواحد وهنالك معمل الوراقة والآلة من آلاتها تصنع ارطالاً من الورق في برهة وجيزة . ومن ابدع هذه الآلات وانفعها للعباد آلة الخياطة التي استنبطها الياس هَو الاميركي في اواسط هذا القرن . وها نحن نسرد طرفًا من سيرة هذا الرجل ثم نصف الآلة وصفًا وجيزًا بحسب ما يحتمله المقام

وُلد الياس هَوْ بسنشوستس من اعمال اميركا سنة ١٨١٩ من ابوين فقيرين فلم يتعلَّم الاَّ مبادئ العلوم في المدارس البسيطة . ثم دخل معملاً من معامل الآلات وكان يعمل فيه حتى بلغ التاسعة عشرة من عمره وحينئذٍ سمع واحدًا يقول لآخر "اخترع آلة للخياطة تُحرز غنى وافرًا" . ولم يكن قد سمع باسم آلة الخياطة ولا خطر له انه يمكن ان تُصنع آلة تخيط من نفسها . فأثَّر في نفسه كلام هذا الرجل وجعل يفكِّر فيه وفي كيفية الخياطة لعلَّه يصنع آلة تحرك حركة اليد وهي تخيط لكنه اكتفى بالتفكر في هذا الموضوع ولم يحاول امتحانه بالعمل . ثم تزوَّج واعيل واعتال فخطر له ان لا شيء يجيء من تخالب الفقر ويميل عليه الثروة الاَّ اختراع آلة للخياطة . فاكبَّ على استنباط آلة تتحرك كاليد وهي تخيط ولبث على ذلك اشهرًا وهو يسعى لعياله نهارًا ويعمل في اختراع الآلة ليلاً . فصنع ابرة مرأَّسة من طرفيها وجعل سمَّها (ثقبها) في وسطها حتى تخرق الثوب ذهابًا وايابًا وتحمل معها الخيط فتخيط به الثوب ولكنه لم يهتدِ الى واسطة لنقل هذه الابرة من جانب الى جانب فذهبت اتعابه سدًى

ثم خطر له ان يجعل سم الابرة بقرب راسها ويضع تحتها وشيعة (مكوكًا) تجيز خيطًا آخر في